المصدر: صباح الخير
التاريخ : ١٩٩٩/٨/٢٦

السادات لرفعت السعيد

ياعبيط ده فك مجلس! إنت تضرب وأنا ألاقي!

مهما طال الكلام وامتدت
الكتابة عن الرئيس
السادات فهي لا توفيه
حقه او قدره الذى احتله
عن جدارة!
والكلام عن السادات
بعيون الآخرين زيارة
جديدة لرجل وزعيم شغل
الدنيا والعالم بقراراته
المهمة وصدماته
الكهربائية المتوالية.
والآن مع رؤية يسارية
صاحبها هو الدكتور
«رفعت السعيد» الذى
يرويها فى احدث كتبه
وهو «مجرد ذكريات»!

كان السادات - أيامها - «نائب رئيس الجمهورية»، وكان د. رفعت السعيد أيامها فى المجلس المصرى للسلام الذى يرأسه خالد محيى الدين.

وكانت مصر تعيش أجواء هزيمة ٦٧ بكل مرارتها، وبمبادرة من المجلس المصرى للسلام تشكلت اللجنة الدولية لنصرة الشعوب العربية برئاسة السياسى الهندى المخضرم «كريشنا مينون».

واقترحت اللجنة الدعوة لعقد مؤتمر عالمى واسع لنصرة الشعوب العربية واقتنع «الرئيس جمال عبد الناصر» بالفكرة، وتم تكليف المجلس المصرى للسلام بالتنفيذ، واستغرق العمل أسابيع وشهورا و«كانت وزارة الخارجية» ومكتب الرئيس يتابعان أولا بأول فيض الموافقات ويبديان اهتماماً مندهشاً.

وحسب ما جاء فى شهادة د. رفعت السعيد.. بعد ذلك قوله :

«حضر إلى القاهرة لمعاونتى «فاروج سلاطيان» - سورى أرمنى - عاش خبرة العمل فى المؤتمرات العالمية للمجلس العالمى للسلام سنوات عديدة، اقترب يناير لنوشك ان نكون جاهزين.. جداول استقبال الوفود بالمطار أعدت، تقرر فتح صالة كبار الزوار بشكل دائم لتستقبل الجميع.. و.. و.

اقتربت ساعة الصفر ونحن مستعدون، ومن فرط استعدادنا كنا نزداد خوفاً وتوتراً.. ومن بين شعيرات التفاصيل كان إعداد بطاقة الدعوة التى ستوجه إلى كبار المسئولين والسفراء ورجال الإعلام لحضور حفل الافتتاح الذى سيلقى فيه «عبد الناصر خطاباً».

وهنا بالضبط بدأت أول مشاكل د. رفعت السعيد مع نائب رئيس الجمهورية وقتها «أنور السادات» والحكاية يرويها د. رفعت السعيد على النحو التالى :

«ببساطة من يحاول أن يبدو متمرساً أمسكت بورقة وكتبت صيغة بسيطة جداً.. مختصرة جداً.

«يتشرف خالد محيى الدين، سكرتير اللجنة الدولية لنصرة الشعوب العربية بدعوة السيد «.....» لحضور «.....»!

وكان البعض يتربص بهذه الصيغة، فما أن أرسلتها إلى المسئولين فى الاتحاد الاشتراكى لطباعتها وتوزيعها على قائمة أرسلتها إليهم، حتى سرت شحنات كهرباء متوترة، رنين حازم للتليفون. المتحدث هادئ، بطئ الكلمات. الأستاذ «عبد السلام الزيات» مدير مكتب السيد «أنور السادات» (نائب رئيس الجمهورية وكان قد كلف من قبل الرئيس برئاسة جلسات المؤتمر) تراخت الكلمات الواحدة إلى جوار الأخرى فى هدوء محاذر وماكر: أظن أنه من الأفضل أن توجه الدعوة باسم السيد النائب!!

وببساطة من لايعرف ما خلف هدوء الكلمات قلت :

. إن المؤتمر شعبى غير حكومى، وإن كثيراً من الوفود الحوا بل واشترطوا شعبية المؤتمر، وابتعاده ولو شكلياً عن الصبغة الحكومية.. ومن ثم فإن توجيه الدعوة باسم نائب رئيس الجمهورية قد يغضب البعض ويشعرهم اننا استدرجناهم إلى فخ حكومى... و.

لم يتركنى . الزيات . كى اكمل حججى، كلماته ازدادت حسماً وتحول الهدوء إلى أمر هادئ :

. سيبك من هذه الشكليات، السيد النائب يرى ضرورة أن توجه الدعوة باسمه فهو رئيس المؤتمر...!!

ورفض السعيد، وسال الزيات عن خالد محيى الدين الذى كان خارج البلاد فى جولة نهائية لدعوة الشخصيات الأوروبية الأكثر اهمية، ويكمل د. السعيد ما جرى فيقول :

«وبعد دقيقة من إنهاء المكالمة وجدته . اى الزيات . فى غرفتى ومعه « احمد الخواجة»، وكان احد ابرز قيادات مجلس السلام، وربما لأن صداقة حميمة تجمعنا، كان الزيات حصيفا ورقيقا، والخواجة يحاول أن يضفى ضحكات على مناخ النقاش، لكننا لم نتفق، وعندما جف رحيق الكلمات بادرنى الزيات وبذات الهدوء :

. خلاص، هناك قرار نهائى بان توجه الدعوة باسم السيد النائب، وتصرف على هذا الأساس !!

وانتفضت قائلاً : حسناً نفذوا انتم القرار !

قاطعنى قبل ان اكمل: حسناً سنطبع نحن بطاقة الدعوة، اترك لنا هذا الأمر!

ووجدتنى اقول : اناساترك لكم المؤتمر كله وتصرفوا أنتم..!!

والقى د. رفعت السعيد بمفاتيح الدواليب والملفات والدعوات وأوراق المؤتمر وخرج مسرعاً، وخلفه قفز «احمد الخواجة» وكما يقول د. السعيد «كانت همساته مشفقة وصديقه وصادقة»:

. لا تضع نفسك فى موقف العداء الشخصى للنائب، وهو مصمم، وزاد غضبه عندما قالوا له «رفعت» مش راضى، ثار قائلا: مين رفعت ده؟! انا قررت ولازم قرارى يتنفذ!!

يعترف د. السعيد: وقبل ان اجد الكلمات قال: انتظر قليلا فى مكتبك، ساحاول إقناعه واعود إليك!!

جلست.. هدأت.. فكرت ووجدت حلاً وسطاً، لكننى قررت الإبقاء عليه كمحاولة اخيرة، رنين التليفون اكثر حزماً :

. انا فوزى عبد الحافظ.. اتفضل السيد النائب عايزك!!

كان مكتبه فى ذات المبنى، ادخلنى «فوزى عبد الحافظ» فوراً إلى «السادات» كان وحده ولعله تعمد ذلك، ما ان دخلت حتى صاح فى غضب ممتزج بمودة علنية :

. إيه يا ابنى عامل مشكلة ليه؟! إنت ناسى إن «خالد» اخويا وحبيبى وهو لو كان هنا كان لايمكن يرفض طلبى، ثم إن دى رغبة سيادة الرئيس!!

حاولت ان اشرح وجهة نظرى، تململ فى مودة ايضا وقال :

. ياواد اسمع الكلام عشان خاطرى، وعلشان خاطر صداقتى بابو الخلد.

لاحظ . السادات . ان ملامحى لم ترتح إلى «ياواد» فقال كفلاح عريق :

. بلاش ياسيدى يادكتور (بفتح الدال).

وابتسم وابتسمت ولمحت عينيه فى ذكاء لم اكن اتوقعه، إننى امتلك حلاً فزادت جرعة المودة الحازمة وهو يقول :

. إشرب ليمون واهدا وفكر !!

تلفت باحثا عن ورقة وقلم، ناولنى قلماً من جيبه وورقة، كنت قد تشاورت مع «فاروج» حول مخرج لا يجرح احداً، ولا يضفى على المؤتمر صبغة حكومية، امسكت بالقلم الذهبى وكتبت بسرعة متعمدة لاوحى ان الحل جاهز

«برئاسة السيد محمد انور السادات، نائب رئيس الجمهورية، تنعقد جلسات المؤتمر العالمى لنصرة الشعوب العربية، وذلك فى تمام الساعة .....، نتشرف بدعوة سيادتكم للحضور..» وفى أسفل البطاقة توقيع «خالد محيى الدين» سكرتير اللجنة الدولية لنصرة الشعوب العربية.

واضفت إلى الاقتراح مسحة ماكرة للقنني إياها «فاروج سلاطيان» ونحن نعد المشروع أن اكتب اسم السادات بحروف كبيرة جداً(!!) واسم «خالد محيى الدين» بحروف صغيرة.

كان البابب قد استقر مشتعلا بين اسنانه، امسك بالورقة، القى نظرة متعجلة، استرخت ملامحه مرتاحة، وقع على الورقة تحت كلمة تطبع وتوزع وقال :

. تمام كده، امال يادكتور (بفتح الدال ايضاً) دوختنا ليه؟!

حاولت ان اشرح الفارق بين ما كان مطلوباً وما كتبت، لم يكن مستعداً لان يخوض فى تفاصيل مرهقة، لقد حقق هدفه او خيل إليه ذلك واكتفى.

قال بمودة مبتسمة : اشرب الليمون !

وفيما اشرب قال : انا معاكم فى المؤتمر

وكن على اتصال بى دوماً لابلغك اولا باول تعليمات سيادة الرئيس!

واضاف : سيادة الرئيس مهتم جداً بالمؤتمر!

واعطى تعليماته : يافوزى الدكتور (بفتح الدال كذلك) يدخل فى اى وقت !!

شد على يدى فى مودة وانصرفت !

وتوالى وصول الوفود التى كان من بينها احد الوفود العربية برئاسة وزير الخارجية، الذى اكد انه سيعارض وبشدة قرار مجلس الامن ٢٤٢ الذى كانت مصر قد قبلته، وقال مساعد الوزير لرفعت السعيد: سننسحب إذا كان الهدف تمرير القرار ٢٤٢، ويعلق د. السعيد على ذلك بقوله :

كانت مصر تؤيد القرار على مضض، لكنها على اية حال ترفض اى رفض له، فرفضه يعنى استبعاد كامل الدعم العربى لموقفنا، وهو بالنسبة لنا يعنى فشل المؤتمر فكل الوفود الاجنبية سوف تتمسك بهذا القرار الذى كان فى ذلك الحين الحد الفاصل بين الاتجاه نحو السلام او الحرب !!

الوزير كان اكثر هدوءاً، وطلب فى وقار ان يلتقى مع النائب . السادات . اصطحبته وانا اتوقع تصادماً، فالسادات كان قد عقد اجتماعاً صباح

ذات اليوم مع الوفد المصرى مؤكداً إصرار الرئيس عبد الناصر ضرورة التمسك بالقرار ٢٤٢ كحل!!

يضيف د. السعيد : حاولت أن اترك النائب والوزير لمباحثات خاصة لكن السادات صمم: اقعد يادكتور (هذه المرة نطقها صحيحة) وجلست، الوزير كان واضحا، سياسة بلده ترفض بحسم ٢٤٢ وهم يؤملون الا يكون المؤتمر فى الاتجاه المعاكس حتى لا يسبب هذا حرجاً لوفدها!!

السادات ادهشنى، انزل البايب من بين اسنانه وقال بجدية مصطنعة لكنها غمرتنى بالاندهاش..:

. نحن لا نتمسك بالقرار ٢٤٢ ولن نتمسك به!!

ثم قال : فقط الشيوعيون هم الذين يتمسكون به، والتعليمات واضحة عند وفدنا!!

كانت عيناه مسلطتين علىّ، ولم افهم ماذا كانتا تقولان، فقد فوجئت بهذا الموقف المتقلب، حتى ولو كانت عيناه تقولان نفذ ما قلناه فى الصباح لما قبلت !!

وانعقدت لجنة صياغة البيان الختامى؛ اوروبيون، امريكيون، افارقة.. هنود والوزير العربى ثم مصر ويمثلها اثنان الانبا صموئيل (الذى قتل مع السادات فى حادث المنصة ود. رفعت السعيد الذى يروى قائلا:

.فى البداية طرح أحدهم نصاً يوافق على القرار ٢٤٢، فرد الوزير بحسم : «لقد تفاهمت مع نائب الرئيس المصرى على تجنب هذا الموضوع!!» ولم استطع الاعتراض، حدث الأمر كله امامى واكتفيت بالصمت، الآخرون سادهم حرج شديد!! وصمتوا أيضاً فإذا كان البلد المضيف قد تراجع عن موقفه فما قيمة الإلحاح؟!

همس الانبا صموئيل فى اذنى يذكرنى بتحذيرات السادات فى جلسة الصباح.. لم اجب وكاننى لم اسمع، ومر مشروع البيان متشدداً وخالياً من اية إشارة للقرار ٢٤٢، تركت نسخة من مشروع البيان لدى «فوزى عبد الحافظ» وتوجهت إلى الفندق لاواصل حملة الاتصالات بالوفود وقبل ان اندفع نحو الأسانسير كان هناك من يندفع نحوى فالسيد النائب يريدنى!!

كان السادات . كما يقول د. رفعت السعيد . هائجاً صاخباً وخائفاً، فهذا الامر حساس جداً

بالنسبة للسيد الرئيس وكانت تعليماته بشانه واضحة صرح :

- يا ابنى مش إحنا اتفقنا فى الصباح، وابلغتكم باوامر الرئيس عن القرار ٢٤٢.

قلت : انا سمعت سيادتك وانت تؤكد للوزير موقفاً معاكساً!!

فقال بابتسامة يائسة: ياعبيط، لازم نتعلم نفهمنى علشان نعرف نشتغل مع بعض!! ده اسمه فك مجالس.. انت تضرب وانا الاقى.. فهمت؟! روح إجمع لجنة الصياغة واتصرف!!

اما باقى ما جرى والذى كان مثيراً ومدهشاً تماماً فقد نجح د. رفعت السعيد فى إيجاد حل عبقرى للأزمة الطارئة!

ويقول د. السعيد إن «السادات» بعد ان استمع للحكاية ضحك طويلا وتواصلت ضحكاته وهو يهدر بشتائم بذيئة بحق الوزير!!

واقترب المؤتمر من نهايته واعلنت القرارات، والوفود تستعد لمغادرة القاهرة وفجاة حدثت هذه القصة المثيرة حيث يقول «د. رفعت السعيد»:

انت مكالمة أمرة من السادات: اسمع كريشنا مينون مسافر بكرة وعايز يعمل مؤتمر صحفى قبل ما يسافر!!

القيت نظرة على جدول المغادرة لاكتشف انه سيغادر القاهرة فى السادسة صباحاً قلت : يعمل المؤتمر الصحفى فى المساء!!

فقال : سوف يتعشى مع السيد الرئيس !

قلت : مستحيل اى صحفى يحضر مؤتمرا صحفيا الساعة خمسة الفجر !!

قال : ياأخى اتصرف، ده صديق حميم للرئيس ومش عايزين نزعله!!

ولم افهم كيف اتصرف، لكن السادات كان يمتلك حلولا بسيطة لمثل هذه المواقف وقال :

- يا ابنى اجمع اى شبان من المرافقين والحرس وموظفى الفندق، وهو يعنى حيراجع بطاقاتهم؟!! بس انت جهز لهم شوية أسئلة وكاميرا.

وبالفعل دخل «كريشنا مينون» إلى القاعة ليجد عشرات الجالسين كل منهم يمسك قلماً واوراقاً، بدا هو بالكلام. كنت خائفاً ان يقلت سؤال غائب أو غير صائب من واحد من الجالسين، لكن الرجل لم يتح مجالا لأسئلة، تكلم، وتكلم، وتكلم حتى حان موعد الرحيل كانت انجليزيته الهندية اللكنة تنهمر فوق رؤوس متعبة لعل اغلبها لا يعرف

حرفاً من الإنجليزية، لكن الجميع كانوا يحركون الأقلام فوق الورق بحماس منفعل!

همست في أذنه.. يجب أن نرحل، اكمل جملة أو جملتين، طوى الشبان أوراقهم بعد أن تظاهروا بالكتابة.. فاغلبهم لم يفهم حرفاً مما قيل!

وفي المطار ألح على أن أرسل له القصاصات عندما تنشر عن طريق سفارة الهند!

أسقط في يدي، لكن السادات طمأنني :

- ولا يهمك، هو سينسى الموضوع أول ما يركب الطائرة (!!)

●●

ولم تكن كل الشهادات السابقة سوى محاولة لزيارة جديدة للسادات: إنساناً وزعيماً ورئيساً دخل تاريخ مصر، ولا يزال حضوره أقوى من غيابه!

رشـــاد كامـــل